حادي عشر:

التحلي بالخلق الحسن

معاملة الناس بحسن الخلق ـ وهو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الخلق، وتحمل أذاهم ـ، والإحسان للمؤذي ما كان في الإحسان إصلاحٌ، اقتداءً بالنبي ﷺ وأصحابه، وطلبًا لكريم ثوابه، وحسن عاقبته، جماع خيري الدنيا والآخرة، ومؤهلة لبيت في أعلى الجنة، فإن تحلي الداعي إلى الله تعالى بحسن الخلق من أعظم أسباب نجاحه في دعوته ومحبة الناس له، وولعهم به، وقبولهم لقوله، لذا كثر في التنزيل الثناء على المؤمنين والمتقين بمحاسن الأخلاق التي استقاموا عليها ولازموها؛ حتى صارت من كريم سجاياهم وجميل صفاتهم، وهي من صفات إيمانهم وجليل أعمالهم، وتواترت الأحاديث الصحيحة ببيان حقيقته وفضله والبشارة لأهله بحسن عواقبه.

فقد ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا[(١)]، وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[(٢)]. رواه الإمام أحمد والترمذي وحسَّنه.

وقال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[(٣)]، رواه أبو داود.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٢٠٣)، ومسلم برقم: (٦٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (١١٦٢)، وأبوداود برقم: (٤٦٨٢)، وأحمد في المسند برقم: (٧٣٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٩٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق**»(١).

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: «**تقوى الله، وحسن الخلق**»(٢). رواه الترمذي وغيره. وضمن ﷺ بيتًا في أعلى الجنة لمن حسن خلقه(٣). رواه أبو داود.

وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»(٤). فاجتمع في حسن الخلق خيري الدنيا والآخرة.

ومن حسن الخلق ما روي عن النبي ﷺ قال: «**أفضل أخلاق أهل الدنيا: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**»(٥).

ويكفي في ذلك قوله تعالى في وصف المتقين:] . / 0 1
< ; : 9 7 6 5 4 3 2
H G F E D C B A @ ? > =
U T S R Q P O N M L K J I
c b ` _ ^] \ [Z Y X W V
Z e d [آل عمران: ١٣٤ – ١٣٦].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٠٤)، وابن ماجه برقم: (٤٢٤٦)، وأحمد في المسند برقم: (٨٨٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (١٩٩٣)، وأبوداود برقم: (٤٨٠٠).

(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٢٠١٨).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم: (٤/١٧٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثاني عشر:

العناية بدعوة الأقربين

يعني كثير من الدعاة إلى الله تعالى بدعوة الناس البعيدين منه نسبًا ودارًا، ويغفل عن دعوة عشيرته الأقربين وذوي نسبه الأدنين، وجيرانه وأهل بلده.

- إما لكونهم لا يقبلون منه لأول وهلة.
- أو لكونهم يحقرونه أو يحسدونه.
- أو لمواقف دنيوية كانت بينه وبينهم.

أو لغير ذلك من الأمور التي تحمله على أن يعرض عن ذويه ويصد عن أهل ناديه، مع أنهم أحق ببره وأولاهم بوصله، وأعظم بر ووصل أن يسعى لهم بزيادة الهدى وإبعادهم عن أسباب الردى.

وهذا الإعراض والصد عن القرابة وأهل الحي والبلد، مهما كانت دوافعه وأسبابه ضرب من التقصير وخطأ كبير، **وذلك لأمور:**

الأول: أن الله تعالى قد أرسل رسله إلى قومهم يدعونهم إلى عبادة الله وتقواه، ولهذا كان مفتتح دعوتهم قولهم:] ; < = Z [الأعراف:٥٩]، وفي بعض السور يذكر تعالى أنه بعث إلى كل أمة:] أَخَاهُمْ Z [الأعراف:٦٥].

الثاني: أن الله تعالى قد امتن على العرب وجعل من حجته عليهم أن أرسل إليهم رسولًا منهم كما قال تعالى:] . / 0 1 2 3 4 Z

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[الجمعة:٢]، وقال تعالى عن قريش:] K L M N O Z [النحل:١١٣]، وهناك عدة آيات بهذا المعنى؛ وذلك لأن كونه منهم يعرفون نسبه ولغته وسجاياه وحرصه على هداهم وإيصال الخير إليهم مما ينبغي أن يحملهم على قبول دعوته ونصره والدفاع عنه ولأنه أعرف بأساليب التأثير عليهم وهو أغير عليهم وأرعى لمصالحهم وأعلم بما يصلحهم، ولأن داعية القرابة من دواعي التراحم والتناصح والحرص على جلب ما ينفع ودفع ما يضر.

الثالث: أن الله تعالى قد بعث موسى عليه السلام إلى قومه بني إسرائيل وأهل بلده فرعون وقومه مع ما كان من أمر قتله القبطي وطلب فرعون له لقتله وفراره من بين ظهرانيهم، فإرساله إليهم ـ والحل هذه ـ وهذا من البلاء المبين، وكذلك ما كان من أمر الملأ من بني إسرائيل.

كل هذا مما يدل على عظم حق القرابة والقبيلة وأهل البلد على الداعي، وضرورة البدء بدعوتهم إلى الهدى وإبعادهم عن أسباب الهلاك والردى، وأن هدايتهم من أبر البر وأعظم الصلة في الأجر والذخر.

الرابع: أن الله تعالى قد أمر نبيه محمد ﷺ أن يبدأ بقرابته كما قال تعالى:] O P Q Z [الشعراء:٢١٤]، وقد فعل النبي ﷺ فجمع قرابته وقومه وخصَّ وعم وقال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»(١)، وقال: «**أنقذوا أنفسكم من النار لا أغني عنكم من الله شيئًا فقد أبلغتكم**»(٢)، وقال

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم: (١٣٩٤)، ومسلم برقم: (٢٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تعالى:] d e f g h Z [الشورى:٧]، وقال سبحانه:] M N O P Q R S T Z [القصص:٤٦].

فتضمن ذلك التوجيه الرباني الكريم تنبيه الدعاة إلى الله تعالى بأن يبدؤوا بالدعوة والنصيحة قرابتهم وذويهم، ثم من يليهم ثم مجاوريهم ثم بني جنبهم، صلةَ للرحم وبراءةً من الإثم وعملًا بأصدق الكلم.

الخامس: أن الداعي إذا ظهر صدقه في دعوته ونصحه وتجرده وحبه الخير لقومه، وتحلى بالإحسان والصبر على الأذى والجور، فإنه لن يعدم من قرابته وقومه من ينصره ويقف معه، ولو خالفه ولم ينقد له فيكون ذلك درعًا واقيًا له من أذىً محقَّق وخطرٍ محدق، كما قال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام أنهم قالوا له:] P Q R Z [هود:٩١]، وكما كان موقف أبي طالب والعباس وحمزة وغيرهم من أقارب النبي ﷺ ورجالات من قريش من قومه ممن كانوا سببًا في دفع شر كبير عنه وتردد خصومه من قريش في قتله حتى أظهره الله ونصره وقيض له من غيرهم من ينصره.

السادس: ثم إنه من الواقع المشهود أن الأجيال المتأخرة من القرابة يكونون ـ في الغالب ـ أحسن استجابة من أبائهم لداعي الحق والتفافًا حوله ونصرة له؛ وذلك لأن الشخص لا يسود في كبار قومه ولا في أقرانه غالبًا، وإنما يسود في الجيل الذي بعده ومن يليه، وحسبك في قرابات النبي ﷺ الذين اتبعوه فإن أقلهم يكبره سنًا بل جملتهم من جيله والجيل الذي بعده، ولن تجد لسنة الله تبديلًا ولن تجد لسنة الله تحويلًا، وإذا كان هذا في أمور الدنيا فأمر الدعوة أعظم وأجل .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فمن تفهم هذه الأمور اعتنى بدعوة قرابته وذويه، وصبر على جفائهم وجورهم عليه، طمعًا في مثوبته وإحسانه إليه، ورجاء هدايتهم إلى خالقه وباريه وذلك من فضل الله تعالى عليه لما فيه من صلة القرابة وعظيم الإثابة؛ ولأنه من مظان النصرة والمنعة، وعملًا بهدي الكتاب والسنة وإقامة للحجة وطلبًا للمعذرة، ومن غفل عن ذلك فغلطه كبير وتقصيره خطير، وقد فاته خير كثير.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثالث عشر:

بيان أثر المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله

دل هدي الكتاب والسنة واستقراء مجمل تاريخ هذه الأمة على الأثر المبارك للمرأة الصالحة في الدعوة.

- فكم كان لسارة زوج إبراهيم عليهما السلام من أثر في تثبيت إبراهيم عليه السلام وإعانته على مهام دعوته بحسن العشرة والقيام بالخدمة وحفظ الأمانة وكريم الإعانة.
- ولقد كانت امرأة فرعون المؤمنة الصابرة سببًا في إنقاذ موسى عليه السلام من القتل، وتربيته التربية الكريمة ومناصرته والدفاع عنه، وكانت من أول من آمن به وصبرت على صنوف الأذى من أجله ومن أجل رسالته ودعوته، وكانت نصرًا للمؤمنين به في قصر فرعون.
- وكم لمريم الصدِّيقة من أثر مبارك على ابنها النبي المبارك في تصديقه وتثبيته ومضي دعوته في قومه وصبره وجهاده، ولذا اثني الله تعالى عليها بالعفة والصديقية ودوام القنوت وشكر النعمة والتذكير بحق المنعم سبحانه وشأنه إلى غير ذلك من فضائلها وكراماتها.
- وكان لصدِّيقة هذه الأمة الأولى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها الأثر العظيم المبارك في أول أمر الإسلام في تثبيت النبي ﷺ أول نبوته وطمأنينته ومواساته وتفريغه لدعوته وإعانته على همومه والصبر على

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أذى قومه ما جعلها تُبشَّر وهي حية ترزق ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولانصب، وكان النبي ﷺ يذكرها مثنيًا عليها وبارًا بها وواصلًا لرحمها من أجل صدقها وتصديقها وكريم مواقفها وحسن رعايتها لزوجها وأولادها وبذلها لمالها من أجل دينها.

- وكان للصدِّيقة الثانية عائشة رضي الله عنها بعد الهجرة وظهور الإسلام المواقف العلمية والدعوية المتنوعة في حفظ الحديث وفهم السنة ومراجعة النبي ﷺ فيما أشكل فهمه، وكانت لها المواقف المعلومة في التحديث وفي الفتوى الحسنة والاستدراك على المخطئين وتعليم الجاهلين ونصيحة أولي الأمر إلى غير ذلك مما اشتهرت به حتى عُدَّت من أكابر العلماء ومشاهير المفتين وجهابذة المناظرين.
- ولبقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن دور بارز في حفظ السنن والتحديث عن النبي ﷺ، فيما لم بحضره سواهن، وكذلك في الفتيا ومناصحة آحاد المسلمين وولاتهم لهن مشاركات خيِّرة ومواقف بارة، وقواعد شرعيَّة؛ حفلت بها دواوين السنة وكتب التراجم وغيرها.

وهكذا يتجلى جهد المرأة المسلمة العلمي والتربوي والدعوي في سائر العصور والأمصار الإسلامية، حتى قيل: وراء كل رجل عظيم امرأةٌ عظيمة، فمنهن مربيات الأئمة، ومنهن حافظات الحديث والسنة، ومنهن ناصحات الأئمة، والناصرات للدعاة من الأمة، ومنهن مصلحات الأزواج، والداعيات إلى صحيح المنهاج، ومنهن الكريمات البارات بالوالدين، والمحسنات إلى الحجاج، فما أكرمهن في الأمة! وما أطيب أثرهن على الملة في الجملة!

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكم في تراجم الخلفاء والعلماء وغيرهم من ذكرٍ لنساء خيِّرات بارَّاتٍ كن نعم العون لأزواجهن وأولادهن ومن أخذ الحديث عنهن في حفظ السنن، والتربية على خير منهاج وسنن، والإعانة على البر؛ كما كانت زوجة عمر بن عبد العزيز وزبيدة زوجة الرشيد وأمثالهن، وهكذا أمهات الأئمة: ربيعة الرأي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأمثالهن كثير، بل ذَكَرَ بعضُ مَنْ كَتَبَ مِنَ العلماء في الجرح والتعديل في رواة الحديث أن جملة النساء اللاتي اشتهرن بالتحديث وروى عنهن محدثون كبار لم تجرح واحدة منهن بكذب ولا وهم ولا تدليس، وحسبك ما ذاع بين أئمة الحديث أن كريمة رحمها الله أثبت من روى عن البخاري رحمه الله صحيحها، وأن نسختها من أصح النسخ إن لم تكن أصحها على الإطلاق.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رابع عشر:

العناية بدعوة الشباب واستثمار نشاطهم في الدعوة

ينبغي للداعي إلى الله تعالى أن يوجه دعوته إلى كافة فئات المجتمع؛ لأنه يسعى في صلاح الجميع وهدايتهم وإسعادهم في العاجل والآجل، فكل الناس بحاجة إلى علمه ونصحه، وهو لكل الناس، لكن ينبغي أن يعتني بالفئة التي تنتفع كثيرًا وتؤثر في الآخرين تأثيرًا إيجابيًّا كبيرًا؛ مثل الشباب؛ فإنهم مستهدفون من خصوم الإسلام لإفسادهم أكثر من غيرهم، وهم إذا اهتدوا واشتغلوا في هداية الخلق فَنَفْعُهُم في هداية نظرائهم ومن دونهم أبلغ من غيرهم.

ولقد حفظت لنا سير الصحابة والتابعين رضي الله عن الجميع نماذج فريدة من جهود الشباب المبارك في الدعوة، فلقد كان جل أصحاب رسول الله ﷺ شبابًا طاهرًا زاكيًّا مباركًا، استجابوا لدعوة الإسلام عن رغبة ولم تردهم عنه شبهة أو فرية، وكانت لهم جهود مباركة في السبق إلى الإسلام وقت الغربة والتعليم والتربية والدعوة والصبر عند المحنة والمبادرة إلى الهجرة والنصرة والجهاد مع البلاء والكربة.

وفي طليعة هؤلاء الشباب المسلم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبدالمطلب وبلال بن رباح وعمار بن ياسر ومصعب بن عمير في رهط من شباب مكة قبل الهجرة . وبعد الهجرة كان ابن عباس وعبد الله بن الزبير وجعفر الطيار والحسن والحسين وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص ونحوهم من شباب قريش ممن يخدمون النبي ﷺ ويتلقون عنه الحديث ويحفظون سنته العملية ويتسابقون إلى ميادين الجهاد والدعوة إلى الله تعالى.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهكذا كان من رهط الأنصار شباب سبقوا إلى الإيمان بالنبي ﷺ ونصرة دعوته، والجهاد في سبيل الله من أمثال: أنس بن مالك، وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، ومعاذ بن جبل، وابني عفراء، وغيرهم من شباب المسلمين المهاجرين من غير قريش ونحوهم جم غفير نذروا أنفسهم لخدمة النبي ﷺ وحفظ سنته ونصرته والدفاع عنه ما سجل بمداد من نور، ينير السبيل للشباب المسلم في العلم والدعوة والحسبة والجهاد والبر والصلة، وغير ذلك من المهام والوظائف الإسلامية العظيمة الجليلة.

وكذلك: اشتهر الجيل الأول من التابعين، كعلي بن الحسين والقاسم بن محمد وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين وسالم بن عبدالله بن عمر وعروة بن الزبير، ونحوهم ممن نذروا أنفسهم لتعلم العلم بسنده، وأخذه عن أهله وتعليمه لطالبيه، وكم قدموا من البحوث والمناظرات فيه وبذل الجهد الكبير لضبط ألفاظه وفهم معانيه والنظر في حال رواته ومؤديه، كل ذلك مما يجلي ويؤكد أن جهد الشباب في تاريخ الإسلام يضارع جهود الشيوخ أو لا يقل عنه خصوصًا في ميادين تلقي العلم وحفظ السنة والدعوة والجهاد غير أن الشيوخ سبقوهم في أثر سبقهم على الإسلام في إظهار الدين والصبر على أذى وجهاد الكافرين والجهاد بالمال، والرأي في مكيدة العدو والإيواء والنصرة، والغبطة بالإسلام والبغضة والغلظة على الجاهلية وأهلها.

وكل ذلك مما ينير للشباب المعاصر طريق الدعوة وبحثهم على البصيرة والقوة في الدعوة، ويحفزهم على التقيد بمنهاج السلف الصالح من الأمة ومعرفة الموقف الشرعي العلمي والعملي من أهل الأهواء والبدعة وغيرهم من أعداء الأمة حتى يدعو إلى الله تعالى على منهاج مستقيم ويحذروا من الإعراض أو التشبه بأهل الجحيم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خامس عشر:

العناية بضعفاء الناس ومساكينهم

فقراء الناس وضعفاؤهم ومساكينهم في الغالب أرق قلوبًا وألْينَ أفئدةً، لأنها لم تتشبع قلوبهم من متع الحياة، وليس لهم شيء يتوهمون زواله عنهم باستجابتهم لدعوة الخير، بل إنهم لحاجتهم وشدتهم يطمعون في بر الداعي إلى الخير، وإحسانه إليهم ويكفيهم منه البلغة والنوال اليسير.

ولهذا كان فقراء الأمم وأراذلهم وأرقاؤهم من أول المستجيبين للرسل عليهم الصلاة والسلام في الجملة، كما قال قوم نوح لنوح عليه السلام:] مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ ¸ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ Z [هود:٢٧]، وكما قال المستكبرون من قوم صالح للذين استضعفوا:] G Z T S R Q P O N L K J I H [الأعراف:٧٥]. وهكذا غيرهم من الأمم، وهكذا كان الفقراء والغرباء والعبيد من أول من آمن بالنبي ﷺ، وهم الذين أمر الله نبيه ﷺ أن يصبر نفسه معهم، وعاتبه الله فيهم لما شغلته نفسه عنهم بالأكابر طمعًا في هدايتهم.

فالعناية بهذه الفئات من المجتمع من أسباب نجاح الدعوة ومن الدلائل على إخلاص الداعي وشفقته ورحمته بالناس، وأنه لا يريد من دعوتهم أجرًا ولا تكثرًا، بل يريد هدايتهم لأنفسهم، وصلاحهم لإسعادهم دنيا وأخرى، ومخالطتهم تزيده تواضعًا، ورفقةً ورحمةً، ورقةَ قلبٍ، وسكون نفسٍ.

فالفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والعمال وذووا المهن هم أوسع ميادين الدعوة ومقدمات نجاحه، وعلامات فلاحها وصحة منهاجها، وتأسي الداعي بالنبي ﷺ وإخوانه المرسلين والنبيين وأتباعهم في دعوة الناس.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سادس عشر:

النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم في سائر الأحوال

النصيحة كلمة جامعة تدل على الإخلاص والنقاء وسلامة الصدر نحو الناس وحب الخير لهم وكراهة ما يؤذيهم أو يضرهم، **ومعناها**: حيازة الحظ ـ أو الخير ـ للمنصوح له.

فإن النصيحة من حق كل مسلم على أخيه المسلم، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**حق المؤمن على المؤمن ست**...الحديث، وفيه: **وإذا استنصحك فانصح له**»(١).

وفي المسند عن حكيم بن أبي زيد عن أبيه عن النبيﷺ قال: «**إذا استنصح رجل أخاه فلينصح له**»(٢).

وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم(٣).

وفي الصحيحين عن تميم بن أوس الداري أن رسول الله ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» ـ قالها ثلاثًا ـ قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٧٨١٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢١٥٧)، ومسلم برقم: (٥٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٥٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعند الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لا يصبح ويمسي ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين**»(١).

فأتباع السلف الصالح ينصحون لكل مسلم كبيرًا كان أو صغيرًا، غنيًا كان أو فقيرًا، قريبًا كان أو بعيدًا، أميرًا كان أو مأمورًا؛ لأن قصدهم نصرة الحق وهداية الخلق، وكلما كانت مسؤولية المرء أعظم كانت نصيحته وإعانته وحقه أكبر وأعظم وأوجب.

*****

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/١٣١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سابع عشر:

رد الضلالات وكشف الشبهات

ذلك أن من أصول أهل السنة والجماعة المأخوذة من الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الأمة؛ الرد على المخطئين في المقالات والأحكام، وبيان ضلال المنحرفين في الاعتقادات والأعمال من أهل الإسلام، وكذلك الرد على خصوم الإسلام الطاعنين في القرآن أو السنة أو شريعة من شرائعه، أو فريضة من فرائضه، ونحو ذلك من أضاليلهم وتحريفهم، وبيان وجه الصواب في هذه الأمور بالقول البين والبرهان القاطع، دون فحش في العبارة أو شيء من الهمز أو اللمز ولو بالإشارة، فإن الفحش في القول وغمط الناس ورد الحق إذا جاء على لسان الخصم ليس من منهاج أهل السنة والجماعة، بل هم يقبلون الحق ويحترمون حرمات الخلق ويحكمون بالحق ولو على الخصم، عملًا بقوله تعالى:] " # $ % & ' ( ) * + , - . / 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > @ A B C D E F G H I Z [النساء:١٣٥]، وقوله تعالى:] x y z { | } ~ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ´ µ ¶ ¸ Z [المائدة:٨]، ومن الجور والبغي الحكم على النيات وتحميل العبارات ما لا تحتمل.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكم في القرآن العظيم من الآيات المحكمات المتضمنة الرد على ما أثاره الملأ المستكبرون من أهل الكتاب والمشركين من شبهات حول القرآن، وافتراءات على الرسل عليهم الصلاة والسلام عامة، والنبي ﷺ خاصة، وكذلك اعتراضات المنكرين للبعث أو القادحين في شيء من الأحكام، وكل ذلك ببراهين ساطعة وحجج قاطعة دون تسمية لشخص أو تعيير أو تشهير، لأن المقصود إظهار الحق، وكشف الشبهة ورد الضلالة وإقامة الحجة وهداية مريد الحق لبغيته، وبيان ضلال الضال ووجه ضلالته.

وكان النبي ﷺ ينكر أخطاء الناس وجهالاتهم دون أن يسميهم أو يشهر بهم ـ إلا في أحوال نادرة تقتضي ذلك ـ بل يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا أو من شأنهم كذا، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا(١).

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليبغض الفاحش البذيء**»(٢)، وثبت عنه ﷺ قوله لعائشة رضي الله عنها: «**إن شر الناس من تركه الناس** ـ أي: ابتعد عنه الناس ـ **اتقاء فحشه**»(٣).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٤)، وفيهما عن ابن مسعود

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥٩)، ومسلم برقم: (٢٣٢١).
(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٠٢)، وأحمد في المسند برقم: (٦٤٧٨).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٤)، ومسلم برقم: (٢٥٩١).
(٤) أخرجه البخاري برقم: (١٠)، ومسلم برقم: (٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك** »(١).

وفي الترمذي عن ابن مسعود رض الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»(٢)، وفيه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما كان الفحش في شيء إلا شانه**»(٣).

*****

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (١٩٧٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٢٢٧٨)، والترمذي برقم: (١٩٧٤)، وابن ماجه برقم: (٤١٨٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثامن عشر:

محبة الخير للناس ودلالتهم وإعانتهم عليه والفرح بفوزهم به

ذلك لأن الداعي إلى الله تعالى خير الناس وأنفعهم للناس وأرحمهم بهم، لما في قلبه من الخير، ولما يعلم من فضل الإحسان إلى الناس؛ وأن نافلة العمل الصالح المتعدي نفعه إلى الخلق أفضل من القاصر على النفس، وربما تضاعف المتعدي نفعه أضعافًا مضاعفة، كالصدقة على ذي الرحم المسكين والمضمر للعداوة والجار؛ فإنها تكون أربع صدقات وفضل الله واسع.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺأنه قال: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»(١)، ولقوله تعالى:] وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ Z [المائدة:٢]، ولما جاء عنه ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»(٣). وقال ﷺ أيضًا: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٣)، ومسلم برقم: (٤٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٨٠).

(٤) سبق تخريجه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال ﷺ: «**إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته، ومنبله، والرامي به**»(١).

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢). وقال ﷺ: «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**»(٣).

وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه**»(٤). وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٥).

وروي عنه ﷺ أنه قال: «**إن أحدكم مرآة أخيه**»(٦). وروي عنه أيضًا أنه قال: «**المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه**»(٧).

ففي هذه الأحاديث أن من صفات المؤمنين التواد فيما بينهم، والتراحم والتناصر على الحق، والتعاون على الخير ودفع الشر، وأن أحدهم يسره ما ينال إخوانه من الخير، ويسوؤه ما يصيبهم من المكروه، رحمة منه بهم وشفقة عليهم،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٨٤٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤٦)، ومسلم برقم: (٢٥٨٥).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٦٠١١)، ومسلم برقم: (٢٥٨٦).

(٦) أخرجه الترمذي برقم: (١٩٢٩).

(٧) أخرجه أبوداود برقم: (٤٩١٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واغتباطًا بإيمانهم بالله تعالى وطاعتهم له، ورجاءًا لثواب ذلك عند الله تعالى، فلذا يسويهم بنفسه، ويحب لهم الخير كما يحبه لنفسه، إلى غير ذلك مما يدل على صفاء القلوب وكمال المودة والمحبة في الله وسلامتها من الغش والحسد والحقد والضغينة.

وقد كان السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ كذلك، فواجب على أتباعهم ـ من الدعاة خاصة والمسلمين عامة ـ إلى يوم القيامة أن يكونوا كذلك؛ لأن ذلك من اتباع السلف الصالح بإحسان الذي وعد الله أهله الجنة والرضوان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تاسع عشر:

الرحمة بالخلق

فإنها من صفة النبي ﷺ وإخوانه المرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ومن صفة أصحابهم وأتباعهم بإحسان إلى أن يأتي الله بأمره، وهي من أسباب رحمة الله للعبد في الدنيا والآخرة، قال تعالى في صفة نبيه ﷺ:] | { ~ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ © رَّحِيمٌ Z [التوبة:١٢٨].

وأخبر الله تعالى عن رسله من أولهم إلى آخرهم أنهم إنما ينذرون أممهم؛ خوفًا عليهم من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فدعوتهم ونذارتهم لأممهم من رحمتهم بهم وشفقتهم عليهم، وفي صفة هذه الأمة المذكورة في التوراة:] * + Z [الفتح:٢٩].

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(١)، وقال ﷺ: «**ارحموا ترحموا**»(٢)، وقال: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»(٣).

قال بعض السلف رحمهم الله تعالى: «وددت لو أن لحمي قرض بالمقاريض؛ وأن الناس أطاعوا ربهم».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند برقم: (١/ ١٦٥).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (١٩٢٣)، وأبوداود برقم: (٤٩٤٢)، وأحمد في المسند برقم: (٧٩٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال آخر: «لو أن لي مالًا لجعلت على كل جبل مناديًا ينادي في الناس: النار النار»، أي: يحذرهم وينذرهم من النار.

فالداعية إلى الله تعالى ينبغي أن يكون رحيمًا بالخلق في كل مقام بحسبه، فيتحرى اللين في خطابه ـ غالبًا ـ، والرفق في النصح والإرشاد، ويجمع بين الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله، ويكون على اهتدائهم وانتفاعهم بدعوته أحرص منه على المعذرة وإقامة الحجة عليهم؛ ولذلك يبذل الجهد في نصيحتهم، ويتحرى أنجح الأساليب التي يظن فيها هدايتهم، ويصبر على أذاهم يبتغي المثوبة من الله تعالى، بل يسوؤه ضلالهم وهلاكهم على الكفر والضلال والفسق والبدع والمعاصي.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(١)، وقال ﷺ: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»(٢)، وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة**...الحديث، وفيه: **ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم**»(٣).

*****

(١) أخرجه الترمذي برقم: (١٩٢٤)، وأبوداود برقم: (٤٩٤١)، وأحمد في المسند برقم: (٦٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٣٧٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٦٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عشرون:

اغتنام المناسبة في البيان

فإن من الأصول المقررة في الشريعة الإسلامية أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ويجوز تأخيره لوقت الحاجة، ومن له معرفة بأسباب نزول القرآن العظيم ومناسبات بيان النبي الكريم ﷺ يتجلى له مراعاة المناسبة في إجابة السائل وبيان حكم الحدث أو النازلة.

وهكذا كان النبي ﷺ لا يدع مناسبة إلا بيَّن ما تدعو الحاجة إلى بيانه بشأنها، أو ما له صلة بها؛ فلما رأى عند عائشة رضي الله عنها سترًا فيه تصاوير هتكه وقال: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»(١)، ولما جيء إليه بجمار النخل أو شحم النخل قال: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟**»(٢).

ولما ذكرت له بعض أمهات المؤمنين كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور قال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥١٨١)، ومسلم برقم: (٢١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦١)، ومسلم برقم: (٢٨١١).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٤٢٧)، ومسلم برقم: (٥٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولما قال له اليهودي إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، قال ﷺ: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»(١).

وهكذا من تدبر سنة النبي ﷺ تبين له بجلاء أنه ﷺ كان لا يدع مناسبة إلا اغتنمها في بيان ما أنزل إليه من ربه، وبذل العلم لأمته.

فاغتنام الداعي المناسبة في البيان مع لطف القول واختصاره من أنفع الأمور في هداية الناس وتعليمهم وأخفها عليهم؛ لأنه يوافق حاجتهم، حتى إن البيان لا يكاد ينسى، وفضل المبين لا ينكر.

*****

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٩٨٠)، وابن ماجه برقم: (٢١١٨)، وأحمد في المسند برقم: (٢٠١٧١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حادي وعشرون:

الانتفاع بالوسائل الممكنة المشروعة والمباحة في الدعوة إلى الله

فإن الغرض من الدعوة هداية الخلق للحق، فينبغي تبليغ الحق للخلق بكل وسيلة لا محذور فيها.

وقد كان النبي ﷺ يبلغ دعوته إلى الناس بما أمكنه من الوسائل:

١ - فكان ﷺ يجمع الناس ثم يخطبهم، يبشرهم وينذرهم، كما جمع ﷺ بطون قريش فخص وعمَّ، وقال فيما قال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»(١)، وقال: «**أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئًا**»(٢).

٢ - وكان عليه الصلاة والسلام يحضر أماكن ومناسبات تجمع الناس فيعرض عليهم دعوته، كما كان ﷺ يشهد موسم الحج قبل الهجرة، ويحضر أسواق العرب، عكاظ، ومجنة، وذا المجاز وغيرها للدعوة إلى الله تعالى.

٣ - وكان ﷺ يلتمس من زعماء العرب أن يحملوه إلى أوطانهم، ويحموه لعله أن يجد من يستجيب له، فيقول: «**ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا منعتني أن أبلغ كلام ربي**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٠)، ومسلم برقم: (٢٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٤٧٧٠)، والترمذي برقم: (٢٩٢٥)، وأبو داود: (٤٧٣٤)، وابن ماجه برقم: (٢٠١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكان من نتائج ذلك بيعتا العقبة الأولى والثانية، ثم الهجرة، وما تلى ذلك من أمور كانت سببًا في ظهور الإسلام وعزة أهله.

٤- ولما صالح النبي ﷺ قريشًا صلح الحديبية وظهر أمره وعظم سلطانه وصارت له الولاية العامة على المسلمين باعتراف أهل الكتاب والمشركين، كاتب ملوك زمانه وبعث بكتبه ورسله إليهم، ليبلغهم دعوته حتى يستجيبوا له، ويُمكِّنوا من تحت أيديهم من شعوبهم من الإيمان به واتباعه، وكاتبهم ﷺ بلغتهم وندب بعض كتابه لتعلم اللغة السريانية من أجل ذلك.

٥- ومن شرائع الدين والشعائر الظاهرة في مجتمع المسلمين خُطب الجمعة والعيدين وغيرها لموعظة الناس، وإرشادهم، وبيان أحكام وفضائل المناسبات التي تلقى بشأنها تلك الخطب.

٦- وكان ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة كلما رأى مناسبة أو حاجة.

٧- وبعث ﷺ الدعاة إلى القبائل والنواحي، تلبيةً لطلب أهلها، أو سدًّا لحاجتها.

٨- ولما كثر الناس اتخذ المنبر، واستبدله بغيره لما وجد منبرًا أفضل منه، كما في قصة المنبر الذي اتخذه من طرفاء الغابة بدلًا من جذع النخلة.

فدلت هذه الأمور على أنه يتعين على الداعي إلى الله تعالى اغتنام كافة الوسائل الممكنة التي لا محذور فيها لتبليغ الدعوة وتعليم الأمة وبيان الحق للخلق، وقد قال تعالى:] ! " # $ % & Z [الممتحنة:٦].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي**»(١)، وقال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٢).

وقد دلت سنته ﷺ على العناية بوسائل إيصال الدعوة إلى أكبر قدر ممكن من الخلق الداني والقاصي.

وقال لجرير بن عبد الله في حجة الوداع: «**استنصت لي الناس**»(٣)، ففتح الله له القلوب والأسماع حتى سمعه أهل الموقف على كثرتهم، ولما قال رجل يقال له أبو شاه: يا رسول الله اكتبوا لي ـ يعني: الخطبة أو بعضها ـ قال: «**اكتبوا لأبي شاه**»(٤).

*****

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٢١)، ومسلم برقم: (٦٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٣٤)، ومسلم برقم: (١٣٥٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثاني وعشرون:

البعد والحذر عن سؤال الناس أموالهم

مالُ المرء قرين نفسه ـ في المنزلة ـ في الشرع والواقع، ولهذا جاد المؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر بأموالهم كما جادوا بأنفسهم، ونالوا عز الدنيا وسعادة الأبد بهذا البذل السخي ابتغاء وجه الله ومرضاته، وَبَخِلَ المنافقون والكفار بأموالهم وكان ذلك من أسباب خسرانهم وشقائهم في الدنيا والآخرة، ولذا باؤوا بغضب الله ولعنته والعذاب الأليم والخلود في الجحيم لكونهم لم يؤمنوا، فكانوا يقبضون أيديهم، نسوا الله فنسيهم.

فكان من أقوى أسباب إعراض الكفار والمنافقين وصدودهم عن دعوة النبي ﷺ الشح بدنياهم، لمسْكِهِم وريبهم وتوهمهم أن دخولهم في دين الإسلام يقطع أرزاقهم أو ينقص ما عندهم أو ينحيهم عن مناصبهم الاجتماعية، وخضوع الناس لهم وتبعيتهم لهم، أو يؤثر من هو دونهم شأنًا في المجتمع عليهم، فيقدمه عليهم أو يغمطهم مقامهم، ولذا أقر كل ذي شرف من منصب أو غنى على شرفه فلم ينقص شيئًا، بل زادهم الإسلام عزًّا ورفعةً دنيا وأخرى.

ولهذا تواطأت الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة على أن رسل الله عليهم الصلاة والسلام لا يسألون الناس على دعوتهم أجرًا ولا مالًا ولا غيره، وإنما يريدون لهم الخير وصلاح الشأن وحسن العقبى في الدنيا والآخرة.

وما طلب منهم إنفاقه على وجه التعبد لله تعالى من زكاة مفروضة أو صدقة تطوع أو جهاد بالمال أو طلب للبر فهو لأنفسهم وَوُعِدُوا بالخلف عليه، وعُدَّ ذلك قرضًا لتأكيد رده ومثوبته(١).

---

(١) لقوله تعالى: [مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ç è é ê ë وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ î Z [الحديد:١١].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولذا كان النبي ﷺ لا يطلب المال من الناس إلا أن يكون زكاة واجبة في أموالهم الظاهرة التي كلفه الله بأخذها ممن وجبت عليه، وصرفها في مصارفها التي عينها الله تبارك وتعالى بنفسه، أو أن يعرض عليهم حاجة ظاهرة لعامة المسلمين، كبئر رومة، وتجهيز جيش العسرة، والتصدق على شخص أو جماعة تحقَّقَ فقرهم وظهرت حاجتهم، كوفد مضر، بحيث يكون قرار الإنفاق نابعًا عن اختيار وقناعة من ذوى الغنى و اليسار، وإلا فقد طلب ﷺ من بني النجار مثامنة حائطهم ليشتريه موضعًا لمسجده عليه الصلاة والسلام، وكان يستسلف من الأغنياء البعير بالبعيرين من الصدقة للجهاد حتى لا يثقل على الناس.

فكل هذه الأمثلة وغيرها كثير تدل وتؤكد على أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتعفف عن دنيا الناس، وأن لا يثقل عليهم بالإلحاح في الصدقات والتبرعات، وإذا اقتضت الحال شيئا من ذلك فليكن ظاهرًا بيِّنًا هم يرونه ويختارونه ويتولونه حتى لا يمل الناس ولا يثقل عليهم ويحملهم على الشح، فإن النفوس مجبولة على الشح،]وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z [الحشر:٩]، وحتى لا يفتح على نفسه شبهة أو باب تهمة أنه يطلب من الناس أموالهم لينتفع بها من ورائهم، ورحم الله امرأً اتقى الشبهات، وكف الغيبة عن نفسه وعرضه، وحبب الخير إلى الناس وجعلهم يتبصرون فيه، ولم يجعل نفسه وكيلًا عليهم، وحمد الله على العافية، فليس هو ولي أمر، ولم يجب عليه المشروع الخيري عينًا، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من العافية، فإن بدا الأمر راجحَ النفعِ للناس فليكن دوره دور المشير الناصح لا الطالب القابض المتوكل عنهم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب الرابع

فوائد
تتعلق بمهمة الدعوة
وسلوك الدعاة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب الرابع:

فوائد تتعلق بمهمة الدعوة وسلوك الدعاة

الدعوة إلى الله تعالى مهمة عظيمة لها أولويات متنوعة، وأمور متعددة، يصعب حصرها فضلًا عن استقصائها ـ وما سبق جهد مقل ـ.

وفيما يلي أذكر فوائد منثورة رجاء أن تكون مكملة لما سبق، وهادية للحق، وفاتحة الباب لمن يريد السبق:

الأولى: في الحث على المبادرة إلى الدعوة والمنافسة فيها:

تقدم أن الدعوة إلى الله تعالى من جليل العبادات، وفريضة من فروض الكفايات، وذكر شيء من فضائلها، وشرف أهلها، وعظم المثوبة عليها، فينبغي لكل ذي أهلية لها ورغبة في مثوبتها أن يسابق إليها وينافس غيره فيها، فهي ميدان فسيح مفتوح للرجال والنساء من الجن والإنس، قال تعالى:] ? @ Z [البقرة:١٤٨]، وقال سبحانه:] " # $ % & ' ( ) * + , Z [آل عمران:١٣٣]، وقال سبحانه:] وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ © ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ Z [الواقعة:١٠-١٢].

وقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال**»(١)، وقال ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»(٢)، وقال ﷺ: «**ألا مشمر للجنة؟**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم: (٤٣٣٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والأصل عموم الخطاب للمكلفين من الجن والإنس، الرجال والنساء، إلا ما دل الدليل على خصوصه بشخص معين أو جنس معين.

الثانية: من بركة القيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى:

للقيام بوظيفة الدعوة بركات كثيرة وعواقب حميدة، حاضرة ومستقبلة، ظاهرة وباطنة، ومن ذلك أن الله تعالى يحفظ الداعي في صحته وعافيته، ويحفظه في أهله وذريته وماله ويكفيه همه ومؤونته، فيجمع له بين انشراح الصدر وتيسير الأمر، مع ما يرجى له من المثوبة وحط الوزر وعظم الأجر، وفي الحديث: «**احفظ الله يحفظك**»(١)، وفي الحديث الآخر: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»(٢).

وصدق الله العظيم إذ يقول: [r q p o n m l k j { z y x w u t s | ~ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ © Z [الطلاق:٢-٣]، وقال سبحانه: [وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا Z [الطلاق:٤]، وقال تعالى: [ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا Z [الطلاق:٥].

والدعوة إلى الله تعالى من أهم أمور التقوى والدعاة المخلصون في دعوتهم وعملهم لله من سادات المتوكلين، وقد قال تعالى: [w x y z { | ~ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ © Z [الطلاق:٣]، أي: كافيه، وقال

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥١٦)، وأحمد في المسند برقم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٢٨٠٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سبحانه:] T U V W Z [الزمر:٣٦]، وقال تعالى:] S T U V W X Y Z [Z [المزمل:٩].

فمن اشتغل بالدعوة إلى الله وتوكل على الله وأخذ بالأسباب التي شرعها وأباحها الله كفاه الله أمر دينه ودنياه وأخراه.

الثالثة: متى يكون الشخص مباركًا أينما كان؟:

إذا رزق الله العبد معرفة الحق بدليله والعمل به وتعليمه للناس مع الإخلاص والسنة فقد جعله الله مباركًا أينما كان، لأنه أينما حل نفع، ونفع العلم والهدى للقلوب أعظم من نفع الغيث للأرض، فادع الله أن يجعلك مباركًا أينما كنت تضرعًا وخفية، واشتغل ببيان الحق للناس ولاسيما عند المناسبة والحاجة، وبالأسلوب الذين يحفز السامع إلى قبول ما توجهه به يجعلك الله كذلك.

الرابعة: في الدعاة إلى الخير والدعاة إلى الشر:

الدعاة صنفان:

الأول: هداة للخلق إلى الحق على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة، وأئمة هؤلاء المرسلون والنبيون، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 Z [الأنبياء:٧٣]، وكذلك أتباعهم من الصديقين والعلماءِ العاملين الذين قال الله تعالى فيهم:] J K L M N O P Q R S T Z [السجدة:٢٤].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه**...الخ »[١]، وقال ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[٢].

فهؤلاء مباركون عل أنفسهم وعلى من حولهم وهم الفائزون بالتجارة التي لن تبور، المفلحون في الدنيا والآخرة، جعلنا الله من أئمتهم بمنه وكرمه.

الثاني: دعاة الباطل وهم كل من عرف الحق وتركه ودعا إلى الضلال والبدع، اتباعًا للهوى، أو أغرى الناس بالشرك والكفر، كما قال تعالى عن آل فرعون:] | { ~ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ © هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ Z [القصص:٤١،٤٢].

وقال ﷺ: «**من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من تبعه إلى يوم القيامة**»[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام في دعاة الشر في آخر الزمان: «**دعاة ضلالة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها**»[٤].

فكن ـ يا عبد الله ـ من دعاة الحق، ولا تكن من دعاة الباطل والضلال، حتى لا تكون ممن قال الله تعالى فيهم:] لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ´ µ ¶ ¸ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ Z [النحل:٢٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٨٩٣)، عن عبد الله بن مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٢٢٩٣٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الخامسة: في نفع الدعوة للداعي والدين والخلق:

في قوله تعالى:] = < ? @ A Z [الذاريات:٥٥]، وقوله:] فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ Z [الأعلى:٩]، على أن معناها: **قد نفعت الذكرى**، بشارة بأن الدعوة نافعة لا محالة، ومن نفعها: بيان أحقية الحق وبطلان الباطل وسقوط الإثم عن الداعي، وفوزه بثواب الدعوة، وإظهار الحق للناس، وإعلان بطلان الباطل، وإقامة الحجة على الخلق وقد ينتفع بها من يشاء الله هدايته ولو بعد حين.

السادسة: للهداية وقت معلوم فلا يستعجل:

للهداية أجل لا تتقدم عليه ولا تتأخر عنه كالرزق والمنية وغيرها من الأمور المؤجلة، وقد اهتدى أناس من الصحابة لأول وهلة ولم يهتدِ آخرون إلا بعد بضع سنين، ومنهم من تأخر إسلامه إلى فتح مكة وبعضهم بعد ذلك، فعلى الداعي إلى الله أن يجتهد في دعوته وأن يبالغ في موعظته، وأن يلح على الله عز وجل بسؤاله هداية المدعو على يديه، وأن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويسلم النهايات والخواتيم إلى الله تعالى فإن الله تعالى بصير بعباده.

السابعة: الفرق بين هداية التوفيق وهداية الإرشاد:

اعلم أن هداية القلوب ـ أي التوفيق لقبول الحق ـ وانشراح الصدر به، بيد علام الغيوب لا يملكها غيره سبحانه، قال تعالى:] _ ` a b c d e f g h i j k l Z [القصص:٥٦]، نزلت في أبي طالب حيث حرص النبي ﷺ على هدايته وكرر دعوته له حتى لحظة حياته الأخيرة، ومع ذلك لم يهتدِ بل كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أما الدعوة إلى الله فهي من هداية التعليم والبيان والدلالة والإرشاد، وهي التي قال الله تعالى فيها:] 9 : ; < = Z [الشورى:٥٢]، وقال تعالى:] F G H Z [الرعد:٧]. فأما ما لله عليك من الدعوة فإنه عبادة وإحسان، واترك ما على الله تعالى له، فإن له سبحانه الحكمة، وهو بعباده أبصر.

الثامنة: في الحث على كثرة الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة:

في قوله تعالى:] فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ Z [ق:٤٥]، تنبيه على أنه ينبغي للداعي أن يكثر من الاستدلال بالقرآن، وما ثبت عن النبي ﷺ له من بيان في دعوته: في موعظته، في خطبته، في درسه، في مناظرته، فإن القرآن والسنة أبلغ الكلام، وهو شفاء للقلوب، وقد اشتمل على أظهر البراهين وأقوى الحجج، ولبلاغة قصصه ووعده ووعيده آثار معلومة في هداية القلوب وإصلاح أحوال الناس.

التاسعة: في الجمع بين أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة:

قال بعض السلف: الفقيه كل الفقه من لم يُقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يجرئهم على معصية الله، فينبغي للداعي أن يخوف الناس من شؤم ذنوبهم ومعاصيهم، ويطمعهم في عفو ربهم ومغفرته وفضله ورحمته، فيجمع لهم في حديثه بين الترغيب والترهيب، وهو منهاج رباني عظيم وهدى نبوي كريم، وهو الجمع بين النذارة والبشارة في سياق واحد، كقوله تعالى:] فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ! " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @Z [الليل:١-٢١].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**»(١)، وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى، قال النبي ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة**»(٢)، وقوله ﷺ: «**من لقي الله وهو لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه وهو يشرك به شيئًا دخل النار**»(٣).

في هذه النصوص الجمع بين النذارة والبشارة، وتقديم النذارة على البشارة.

العاشرة: الحذر من القول على الله وفي دينه بغير علم:

تذكر أن الله تعالى قال في حق نبيه ﷺ:] V W X Y Z [\ ^ _ ` a b c d e f g h i j Z [الحاقة:٤٤-٤٧]، فإذا كان الله تعالى قد توعد نبيه وخليله ﷺ لو قال عليه ما لم يقل ـ وحاشاه ـ، فكيف بمن قال عليه من الخلق سواه ﷺ؟!، فاحذر أن تقول على الله وفي دينه بغير علم فإنه كذب على الله تعالى وإضلال لعباده، قال تعالى: ] V W X Y Z [ \ ^ _ ` b c d e f g Z [الأنعام:١٤٤]، فإن القول على الله وفي دينه بغير علم أكبر الكبائر وأعظم المحرمات، قال تعالى:] P Q R S T U V W X Y

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٩٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٢٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

kjihgfedcba` _ ^] \ [Z

l Z [الأعراف:٣٣].

فلا يحملنك كونك واعظًا مؤثرًا أو مناظرًا حجيجًا، أو إقبال الناس عليك على أن تتكلم في دين الله بغير علم، فإنه هلكة وشقاء في الدنيا والآخرة، قال الصديق رضي الله عنه: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله بغير علم؟!

الحادية عشر: وجوب التثبت فيما ينسبه للنبي ﷺ من الحديث:

تواتر عن النبي ﷺ قوله: «**من يَقُلْ علي ما لم أقل** ـ وفي لفظ: **من كذب علي، فليتبوأ مقعده من النار**»(١). وهذا وعيد شديد وتهديد أكيد؛ ولذا قل حديث جمهور الصحابة، وامتنع بعضهم عن التحديث عن رسول الله ﷺ، خوفًا من الوعيد الوارد في هذه الأحاديث، ولأن غيرهم قد كفاهم مئونة التحديث، فاحذر أن تنسب إلى النبي ﷺ حديثًا لم تثبت صحته أو تصدر فيه عن أحد دواوين السنة المعتبرة.

الثانية عشر: اجتناب الحديث بكل ما سمع والإجابة على أي سؤال:

من عيوب كثير من القراء ـ غير الفقهاء ـ التحديث بكل ما سمع والإجابة عن كل سؤال، وقد قال النبي ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»(٢)، وذلك لأن الذي يحدث بكل ما سمع يعرض له الخطأ والوهم فينسب إلى الكذب، وقد يستمري ذلك ويهون علية أمر الخطأ فيتلقى الناس

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٠٩)، ومسلم برقم: (٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عنه مما ليس من دين الله فيبؤ بإثم ذلك. وقال ابن مسعود: «**إن الذي يفتي الناس في كل شيء لمجنون**».

وقد عُرضت على الإمام مالك أربعون مسألة فأفتى في أربع وقال عن ست وثلاثين: لا أدري، فقال له السائل: سبحان الله، تقول هذا وأنت مالك؟ فقال: أخبر من وراءك أن مالكًا لا يدري.

الثالثة عشر: تعين ترك الفتيا أو القول بالظن:

إذا جاءك المستفتي أو المسترشد عن شيء من دينه فلا تفته بالظن، فإن الظن ليس بعلمٍ، قال تعالى:]) (* + Z [الحجرات:١٢]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»(١)، وقال عقبة بن عامر: «**تعلموا قبل الظانين**»(٢)، ولا تحملنك العاطفة أو حب الخير على أن تفتي سائلًا في مسألة لست من أهل الفتيا فيها، قال بعض السلف: (إنكم لتفتون في المسألة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر)، وقال آخر: (إذا جاءك السائل فلا تقل لعلِّي أجد له مخرجًا حتى تعرف مخرجك عند الله).

الرابعة عشر: يتعين على الداعي الفرح بظهور الحق مطلقًا:

الداعية إلى الله تعالى على منهاج السلف الصالح ـ من رجل أو امرأة ـ شخص صحيح الفطرة، سليم الصدر من الغل والحقد والحسد، محب للخير لكل أحد، أمره واضح جلي، فليس لديه غش ولا خديعة ولا مكيدة لأحد؛

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥١٤٤)، ومسلم برقم: (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا عند الحديث رقم: (٦٧٢٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لأن همه أن يظهر الحق على لسانه أو لسان غيره، وأن يقبل الحق منه أو من غيره، فيبين عند الحاجة ويؤخر البيان لوقت الحاجة، ويفرح إذا كفاه غيره البيان أو الفتيا، ولا يجبن إذا توقف ظهور الحق عل بيانه ما لم يخف على نفسه أو على حرمته وذويه ضررًا محققًا، ويبتعد عن ما يؤدي إلى الاختلاف والفرقة والفتنة، ويصبر على الأذى ما أمكن، ويُعنى في كل موقف بما هو أرضى لله تعالى وأحرى بإصابة السنة وظهور منهاج السلف الصالح، ولا يتسبب في إثارة الناس عليه إلا بموجب شرعي تتحقق به المصلحة وتدرأ به المفسدة، وعند التزاحم تراعى القواعد الشرعية التي تحكم ذلك.

فلا ينازع الحكام حكمهم، ولا ينتقص أهل العلم قدرهم ولا يزدريهم، ولا يغمط العوام أو يحتقرهم، ولا يدعو إلى بدعة أو سلوك في الدعوة خلاف منهاج السلف الصالح، ولا يقصد من دعوته أن يتكثر بالناس أو محمدتهم، ولا يأخذ على دعوته أجرًا من الناس لا ماديًا ولا معنويًا، بل همته منصرفة إلى إظهار الحق، وهداية الخلق؛ وأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وكل يوم يمضيه في الدعوة يعده منحة من الله وذخرًا عنده.

الخامسة عشر: إيضاح موضوع الدعوة وذكر أمثلة من تطبيقاته:

لعل من الحكمة في الدعوة العامة في المساجد وغيرها من مجامع الناس أن يؤسس الداعي في كلامه قاعدة عامة مثل: (بيان معنى التقوى، وفضلها وحسن عواقبها في الدنيا والآخرة)، ثم يورد أمثلة متنوعة مما يدخل في معنى التقوى، بحيث ينطبق كل مثال من أمثلتها على شخص أو مجموعة من الأشخاص.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فمن أمثلتها: المحافظة على الصلوات، ومن أمثلتها أداء الزكاة، ومن أمثلتها بر الوالدين، ومن أمثلتها ترك الربا، ومن أمثلتها البعد عن أسباب الزنا، ومن أمثلتها حسن عشرة الزوجات. وكذلك يبين حقيقة الشرك بالله تعالى وخطره، ثم يذكر أمثلة من أنواعه وصوره.

السادسة عشرة: مهمة الداعي إلى الله تعالى:

ليست مهمة الداعي أن يعلم الناس كل ما يعلمه، أو كل ما يحتاجون إليه في مقام واحد، وإنما هي وصية بالتقوى، ودلالة على باب هدى، أو حض على واجب ظهر تركه، أو نهي عن محرم ظهر فعله، أو تصحيح خطأ أو تفنيد شبهة، أو تذكير بحق نعمة، أو إنذار من بوادر عقوبة ونقمة، فهي هداية للإسلام أو خصلة من خصاله، ونذارة من شيء من نواقصه أو نواقضه.

فلذلك ينبغي أن تكون مع الشخص في خاصّة نفسه، ولا يسمع غيره الكلام الموجه إليه إلا برغبته، ومع العامة على وجه التعميم والإجمال دون التخصيص أو التعيين.

كما ينبغي مراعاة مقتضى الحال، وتغليب جانب الإيجاز والترغيب والترهيب وتنويع الأدلة، وإذا كان الموضوع هداية شخص للإسلام، أو استنقاذه من جريمة أو فاحشة كبرى، فتنبغي متابعته بلطف حتى يطمئن من تحقق المقصود والسلامة من العوارض فيكون الداعية بمثابة الطبيب الذي يتابع مريضه حتى يبرأ من علته ويستعيد عافيته، وتغليب جانب التبشير والترجية، والبعد عن العنف أو التوهين، قال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطى على الرفق ما لا يعطي على العنف ولا على ما سواه**»(١)،

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٩٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال أيضًا ﷺ: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»(١)، وقال ﷺ: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»(٢).

والنصوص في هذا المعنى كثيرة ومشهورة، والموفق من وفقه الله، والسعيد من جعله الله مفتاح خير، ومغلاق شر، ونفع للخلق بما يقدر.

*****

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧٣٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٩٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com